

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة محمد خيضر – بسكرة –

كلية الآداب واللغات

قسم الآداب واللغة العربية

محاضرات في النص الأدبي القديم

السنة الأولى ليسانس المجموعة " أ "

إعداد: سامية آجقو

تمهيد

الشعر في اللغة مصدر شعر بالشئ أحسّ به، وهو في الأصل العلم الذي يكون طريقه الشعور و الإحساس ثم توسّع فيه العرب فأطلقوه على كل علم، ومن هنا قيل أن الشعر ديوان العرب. فهو سجل حياتهم بكافة ألوانها، وهو مجمع أخبارهم بكل دقائقها. ورغم توسّع العرب في مفهوم الشعر فإنّه غلب على النظم المعروف لقربه واتصاله بالشعوب والوجدان ولأنه لغة العواطف والأحاسيس وأكثر العلوم علوقا بالنفوس والأفئدة .

1) مفهوم الجاهلية العربية: (1)

ما المقصود بالعصر الجاهلي؟ ومن هو الشاعر الجاهلي؟

¹ ينظر: زكريا صيام: دراسة في الشعر الجاهلي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط2، 1993، ص16.

العصر الجاهلي يطلق على الفترة التي سبقت الإسلام، والمقصود بكلمة □ الجهل □ هو: الترف والطيش وحدة الطبع والغضب، فالعصر الجاهلي عصر الترف والطيش، وعصر اشتعال الحروب لأتفه الأسباب والدّأب على الغزو والسلب والنهب وسبي النساء، واعتبار ذلك من مفاخر أصحاب ذلك العصر ومكارمهم، إلى جانب معاقرة الخمر واهلاك المال في سبيلها وانتهاب اللذات أينما وجدت. ولن يخرج تعريفنا للشعر الجاهلي عن هذه الدائرة، فهو الانسان الذي تفتتقت موهبته بقرض الشعر في ذلك العصر وتحلى بما تحلى به غيره من معاصريه من الصفات السابقة

(2) الجزيرة العربية جغرافيا واجتماعيا ودينيا: (1)

تقع شبه الجزيرة العربية في طرف الجنوب الغربي من آسيا ويحدها من الشمال سوريا ومن الشرق الفرات وجهة من المحيط الهندي أيضا ومن الغرب البحر الأحمر ثم يقسمها جبل السرات الممتد من اليمن الى أطراف بادية الشام قسمين : غربيا وشرقيا وفي هذه المساحة توزع الشعبان العربيان :شعب قحطان وشعب عدنان فأما القحطانيون فسكنوا اليمن وكانت لهم فيه عمارة عظيمة وحضارة زاهرة ،والعدنانيون سكنوا الحجاز إلى ريف العراق، فأقامت بطون قريش في مكة وضواحيها وبتون كنانة في تهامة واحتلت ذبيان ما بين تيماء وحوران ، وسكنت ثقيف الطائف وهوزان شرقي مكة ونزل بنو أسد شرقي تيماء وغربي الكوفة .وبنو تميم بادية البصرة ،واستوطنت قبائل تغلب الجزيرة الفراتية،وحلت سائر بكر بن وائل طول الأرض من اليمامة إلى البحر.

وكان لجو الإقليم أثرا طبيعيا قويا في حياة أهله، فهو الذي ينهج لهم سنن معاشهم ونظام اجتماعهم ويكون طباعهم وأخلاقهم ،وشبه الجزيرة جافة قاحلة قلما يجودها الغيث فهي لا تصلح للزروع الدورية ولا تلائم الحياة الحضرية ومن ثم كان أهلها بدوا بالفطرة يعيشون تحت الخيام يتتبعون مواقع القطر ومن ثم كان إلفهم حياة الظعن والتجوال ،يتبجحون باللسن والفصاحة ،توزع همهم بين الجدال والقتال وإن غلبت عليهم الحرية والعصبية والوحشية ،فلم تكن لهم مدنية إجتماعية ولا أنظمة ولا فلسفة دينية،مجتمعهم مجتمع القبيلة والخيمة والحكومة كانت لرؤساء العشائر يملكون بالإرث ويحكمون بالعرف،حالت نفوسهم إلى عبادة

¹ ينظر :أحمد حسن الزيات :تاريخ الأدب العربي،دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ص ص 7-12

الاصنام والأوثان ونصبها على الكعبة تقرباً بها إلى الله على زعمهم، عرفوا العلم المبني على التجربة والاستقراء فعرفوا الطب والبيطرة والخيل ولاحظوا الأنواء والنجوم والرياح وعلاقتها بالغيث وبرعوا في الأنساب والأخبار والأشعار محافظة على عصبيتهم وتحديثاً بمفاخرهم وتخليداً لمآثرهم ومهروا في الفراسة والقيافة ووصف الأرض، كما قادهم الجانب الروحي إلى الكهانة والعرافة وفي هذا نخلص أن للعرب نفوساً كبيرة وأذهاناً بصيرة وحنكة خبيرة ومعارف واسعة فكان الشعر لسان حالهم وديوانهم.

3) الشعر: قدمه وكثرته:

الشعر العربي قديم النشأة جداً، ولكن القسم الأوفر منه ضاع بعوامل مختلفة: بترك تدوينه، وبهلاك نفر كثيرين ورائه في الفتوح بعد الإسلام وبتشاغل الناس عن روايته بالدين وبالفتوح. والاجماع بين النقاد على أن أول الشعر العربي الرجز.⁽¹⁾

والرجز أول أوزانهم لقربه من وقع أخفاف الإبل فكانوا يقولون فيه البيتين والثلاثة إذا حاربوا أو فاخروا، ثم صاروا يطيلون فيه النظم إلى أن وصلت الأبيات إلى العشرة أو أكثر في بعض الأحيان.⁽²⁾

والشعر الذي وصل إلينا من الجاهلية يمثل دوراً راقياً لا يمكن أن يكون الشعر قد بلغ إليه في أقل من ألفي سنة على الأقل، غير أنه لم يصل إلينا من ذلك الشعر الأول شيء.

4) مواسم الشعر وأسواقه :

اتسع نطاق الشعر في الجاهلية فلم يبق مقتصراً على التعبير عن الخيال والوجدان فحسب، بل شمل ذكر المفاخر ووصف المعارف وتعداد بعض الحوادث حتى سمي بحق ديوان العرب أي سجل تاريخهم من أجل ذلك أن بنشد في المجتمعات وفي الحفل الغفير، فأخذ الشعراء يؤمّون الأسواق الخاصة والأسواق العامة الكبرى لينشر كل واحد منهم محامد قومه أو يدل على براعة نفسه، مع العلم أن هذه الأسواق كانت في الأصل للتجارة، ثم جعل الناس يتخذونها مواسم قومية أو أدبية. أما الأسواق الصغرى فكانت

¹ ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ج1، ط1، نيسان، 1981، ص74.

² زكريا صيام: دراسة في الشعر الجاهلي، ص85.

كثارا ، كل حي له سوق أسبوعية أو شهرية قاصرة على أهل الحي ومن جاورهم ، أما الأسواق الكبرى فكانت أقل عددا وأطول أمدا، وكان الزمن الذي يفصل بمن انعقادها أطول، هو في الأغلب عام واحد وأشهرها:

ذو المجاز قرب ينبع، وذو المِجَنَّة قرب مكة، وكانت تبدأ مع هلال ذي القعدة وتستمر عشرين يوما تجتمع قبائل العرب فيتعاكضون أي يتفاخرون ويتناشدون⁽¹⁾.

5) الأطوار التي مر بها الشعر في مرحلته الأولى⁽²⁾.

يغلب على الظن أن أول أطوار الشعر طور الأسجاع، وأن النثر المسجوع كان أول مظهر من مظاهر البداية الشعرية وكان يدور كثيرا على ألسنة الكهّان والعرّافين لأنه قلّم على نوع من التقفية الجزئية، أي على عنصر الموسيقى التي تكسب المعنى بهاءً وقبولاً .

ثم جاء الحداء الذي هو أبسط حالات الغناء وقد استعوا فيه بما يتلائم مرافق حياتهم، فالحروب وقعة السنّان واصطكاك الدروع بها لحن حماسي يميزها عن الأصوات الأخرى ثم أنهم كانوا يخرجون الأصوات المختلفة عند اللقاء مع العدو. كقولهم عند الطعن: خذها وأنا فلان ، أو خذها وأنا ابن فلان وبما أن العرب تغنّوا بالكلام المسجوع لأنه أكثر ملائمة للغناء ثم توصلوا إلى نظم البيت والأبيات، أي القياس بالمقاطع والأوزان الذي يكون الرّجز أبسطه يعبرون عن خاطرة طرأت في فكرهم أو معنى جزئي طرأ لهم، ثم بعد هذه البدايات ينحو الشعر نحو الاكتمال والنضج وتألّق مرحلة تقصيد القصائد حيث «تشعبت الأوزان بعد الرجز بما يتلائم والبيئة الجاهلية فكان الهجز موافقا لحركة راكب الناقة، وكان الطويل ملائما لحركات أربع بطيئة مع حركات أخفاف الناقة، وجاء البسيط متناسبا مع صوت عدو الناقة، واستعت القصيدة لتشمل عدّة أغراض مستغرقة في ذلك عشرات بل ومئات الأبيات...ضمن وزن واحد وقافية واحدة لا يحيد عنهما»⁽³⁾.

¹ ينظر: عمر فروخ: تاريخ الأدب العربي، الأدب القديم من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية، ص74.

² ينظر: زكريا صيام: دراسة في الشعر الجاهلي، ص77-79.

¹ زكريا صيام: دراسة في الشعر الجاهلي، ص89.

الموضوعات: (1)

لعل أقدم من حاولوا تقسيم الشعر العربي جاهليا وغير جاهلي إلى موضوعات ألف فيها ديوانا هو أبو تمام المتوفى حوالي 232هـ، فقد نظم في عشرة موضوعات هي الحماسة، المراثي، والأدب، والنسيب، والهجاء، والأضياف، ومعهم المديح والصفات، والسير، والنعاس، والملح، ومدمة النساء. وهي موضوعات يتداخل بعضها في بعض أمّا قدامة في كتابه نقد الشعر فقد وزّع هذا الفن على ستة موضوعات: هي المديح، الهجاء، النسيب، المراثي، الوصف والتشبيه وجعل ابن رشيق موضوعات الشعر في كتابه العمدة تسعة، وهي النسيب، المديح، الافتخار، الرثاء، الاقتضاء، الاستنجاز، العتاب، الوعيد والانداز، الهجاء، والاعتذار.

ومن المقطوع به أنه لا يمكن ترتيب هذه الموضوعات ترتيبا تاريخيا أو معرفة كيف نشأت وتطوّرت لأن الأصول الأولى لهذا الشعر انطمرت في ثنايا الزمن.

² ينظر: شوقي ضيف: تاريخ الأدب العربي، 1، العصر الجاهلي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط11، ص195.